لسان الحال

مؤسس اللسان خليل سركيس سنة ١٨٧٧
صاحب الامتياز رئيس التحرير خليل رامز سركيس
سكرتير التحرير المسؤول : نبيه سلامه
بيروت { السبت ١ كانون الثاني ١٩٥٥ و ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٧٤

السنة الثامنة والسبعون
العدد ١٨٠٢٠
ثمن العدد ١٥ غرشاً لبنانياً
الاشتراك : في الداخل ٢٥ ليرة والخارج ٥٠ ل
التلفون : المكتب ٣٠٦٢١ المنزل ٣٤١٠٩

ميشال شيحا

١٨٩١ - ١٩٥٤

فقدناه جميعا ، اهلاً وصحباً وبلادا . فليس المصاب مصاب اسرته العشيرة ولا اصدقائه المختارين ومعارفه الكثيرين وحدهم ، وانما هو مصاب الامة برجل من رجالها الاكابر ، والانسانية بعلم من اعلامها الافذاذ

انتابته علة في القلب لايام مضت — والقلوب الكبيرة تجهد نفسها فتتعطل قبل الاوان — فلازم السرير في داره الوادعة في اليرزة : محاطاً بعناية طبية فائقة وبحنو عائلي مؤثر . فلما عاده الدكتور روجه غودل الذي قدم خصيصاً من الاسماعيلية — وغودل هو من هو في عالم الطب والتأليف — وادرك الخطر المحدق بحيانه لم يملك نفسه فانفجر باكياً على فراش المريض . ثم انفتل راجعاً الى مصر وهو يلقي على صديقه الحميم نظرة الوداع

وهكذا غاب عن لبنان — الوطن الصغير — وجه عالمي كبير ذو اشعاع انساني شامل

فميشال شيحا هو اديب ومؤرخ وسياسي وصحفي ورجل مال واعمال وفيصل ارقام : هو اديب ومؤرخ في مؤلفاته ، وصحفي وسياسي في « لوجور » وقبلاً في المجلس ، ورجل اعمال في مؤسسة فرعون وشيحا الكبرى . وتلك مزايا قلما اجتمعت في رجل فرد . حتى اذا تحدث هو أو كتب أو حاضر جمع بين هذا كله في ما يقال له نفس ميشال شيحا

*

وللراحل الكبير في تاريخ لبنان المعاصر مآثر اوفر من ان تحصى . فبفضل مؤلفاته وارائه السديدة يذكر الكثيرون من المقيمين في اربع زوايا الارض اسم لبنان . وربما قال بعض سكان البلدان القصية : « لقد سمعنا باسم لبنان ، اول ما سمعنا ، في امثال سليمان الحكيم ، ثم قرأنا نتاجاً منه في آثار ميشال شيحا »

ذلك لان مقالاته ومحاضراته ومؤلفاته كانت تقرأ في انحاء مختلفة من العالم ، كما انها كانت تطالع في السفارات والمفوضيات ببيروت ثم يوصل بها الى باريس ولندن وواشنطن وحتى الى موسكو وغيرها من العواصم . ولكم تزل بلبنان ادباء ومؤلفون اجانب فكانوا في سؤالهم عن قيمنا الرفيعة وتراثنا الحديث يطلبون زيارة شيحا وفي ذهنهم شيء من اقواله

*

ولميشال شيحا على لبنان فضل آخر وذلك من الناحية المالية الصرف . فنقدنا الورق السليم مدين له بثباته واستقراره ، كأن الثبات والاستقرار اللذين امتازت بهما سيرته الحافلة قد انعكسا على صفحة اعماله الخاصة والعامة . ففي المرحلة الاستقلالية التي بدأت في سنة ١٩٤٣ وما رافقها من تسلم لبنان لمرافقه وجه ميشال شيحا مقدرات لبنان المالية والاقتصادية من وراء الستار ، بكثير من التواضع وحب التخفي وانكار الذات . فكل لبناني ، اذن ، مدين له من هذا القبيل

وكانت له اراؤه الاقتصادية الجريئة : فلقد ظل حتى النهاية يعارض الوحدة الاقتصادية الشاملة مع سوريا ، ويؤيد معارضته هذه بالحجة والبرهان باعتبار لبنان بلد تجارة اولاً ، وباعتبار سوريا بلد انتاج اولاً . فاخضاع بلدين طبيعتهما مختلفة لشريعة اقتصادية واحدة ضرب من العبث بل هو جهل لهذه الطبيعة وانكار لها . فلبنان يزدهر في المدى التجاري العالمي الحر ، وسوريا تعمر بالانتاج الصناعي والزراعي المحلي

*

ولميشال شيحا عقيدة لبنانية راسخة ، ولكنها متزنة . فهو يؤمن بلبنان مستقلاً ، ويؤمن بالدول العربية مستقلة ايضاً . ويرجو أن تتحول جامعة الدول العربية الى اداة فعالة تنسجم فيها العلاقات بين اعضائها لخيرهن جميعاً

والى ذلك فهو يرى ان لبنان يحيا وينمو بما يتاح له من حرية جماعية . لان لبنان مؤلف من مجموعة من الطوائف الاقلية ، فليس لطائفة ان تستبد بغيرها ولا ان تستأثر بخيرات الوطن دون سواها . وانما بقاء لبنان رهن بتعاون فئاته كلها على الحياة معاً في ظل المحبة والتفاهم والوئام

وهنا يحسن القول ان ميشال شيحا ، مع دعوته الى التساهل الديني والتعاون الوطني ، كان مؤمناً متديناً ، ونصيراً باراً للتعاليم الالهية . فقد غنى الاعياد الدينية والمواسم الكنسية شعراً ونثراً : من ميلاد يسوع ، وطريق الجلجثا ، الى السنة المريمية ، الى اربعاء الرماد ، الى الجمعة العظيمة ، الى احد القيامة ، الى تذكار الموتى وغيرها . على ان ذلك لم ينحصر بالدين المسيحي وحده بل تعداه الى الديانات السامية الاخرى : فتغنى بمولد الرسول العربي الكريم ، وبفضائل الصيام في شهر رمضان . وكما كانت صداقاته تجمع بين عبد الحميد كرامه رحمه الله ، وعمر بيهم وشكري قرداحي وروجه غودل وسواهم احياهم الله ، كذلك كان فكره يحنو على لبنان بشطريه المسلم والمسيحي حنوه على اللبناني مقيماً ومغتربا

*

وليس من موضوع شغل اللبنانيين في عقر دارهم او في ديارهم المنتشرة في شتى انحاء المعمور ، في ثلث القرن الذي مضى ، الا عالجه ميشال شيحا برؤية واناة وحكمة عميقة ونظر بعيد . فمن الخطأ القول بانه كان منعزلاً . فلئن اعتزل عن الناس فلقد كان في صميم قضاياهم ، وتلك هي عزلة المفكر في برجه العالي لا في برجه العاجي !

واعجب ما كان عليه انه جمع بين عبقرية القول وعبقرية الفعل . فكان — على حد قول بوغسون — يفكر عاملاً ويعمل مفكراً ، وكانت حكمته واراؤه في هذه الحياة الدنيا ، وشواغلها ومختلف مظاهر وجودها ، ثم في ما وراءها من الآخرة والخلود ، تجعل المثقفين اللبنانيين يشعرون ان في وطنهم حكيماً هو لهم على نحو ما كان « آلان » Alain للاوربيين

والى ذلك لقد كان ميشال شيحا ، الاديب اللواء ، مزيجاً من شعر وموسيقى وأصاطير وروئى بعيدة وامثال احب الوضوح والسهولة — وقد استوحاهما من سمائنا المشرقية وساحلنا المتوسطي — فكان يتجه رأساً الى موضوعه ، ويضمن كلمته المكتوبة فيضاً من الرقة والرحمة والحنان ، مع ميل الى السخرية الناعمة يجعلها في متناول قرائه الخصوصيين ساعة يشاء ، دون أن يضحي بعمق الفكرة في كل حال

ولميشال شيحا ، كما نعلم ، قراؤه الخصوصيون من صفوة النخبة ، وله مريدوه لانه اسس مدرسة فكرية لبنانية انسانية لم يقم لها مثيل ، عندنا ، إلا من زمان . كان مرجعاً في الثقافتين الاغريقية واللاتينية ، وكان حجة في الثقافة الانكلوسكسونية . بل كان موسوعة انسانية معاصرة . كان يكتب عن فرجيل وديكارت وباسكال ، بالسهولة نفسها التي يكتب بها عن المتون وبيرون وتنسون ، وبالخبرة نفسها التي يعلق بها على تقرير بنك سوريا ولبنان عن الوضع المالي في البلاد ، وبالرشاقة نفسها التي يرد بها على مقالات صحيفة « الايكونومست » اللندنية . وكان يخاطب وزارة الشؤون الخارجية البريطانية في مقالاته الافتتاحية ، من على منبره اليومي في « لوجور » ، ميناً بالادلة الدامغة الفرق الملموس بين الشرق الاوسط الاسيوي ، والشرق الادنى المتوسطي ، ثم لا يفوته ان يذكر من خلال تلك المقالات المدوية انه يؤثر شكسبير الانساني على كبلنغ المستعمر !

*

وما ننسى فضله على قضية فلسطين ، فهو من القلائل الذين وعوا الخطر الصهيوني قبل ان يصل الى بيت لحم ، حتى ان تنبؤاته في هذا الموضوع هي بمثابة صفر رؤيا للكارثة التي حلت بالاراضي المقدسة في ما بعد

*

وهناك ناحية اخرى ، لا اخيرة ، ما يسعنا الا ان نأتي على ذكرها . فلقد اقبلت الدنيا على ميشال شيحا فاعطته وجادت . فتلقى نعمها بالشكر والقيام بما هو اكثر من الواجب . فكم عثرة اقال ، وكم شدة استدرك ، وكم مشروع احيا ، وكم مسكين اغاث . ولكن على السكت امتثالاً للوصية الكريمة ، وتمشياً مع طبعه الكتوم : ومن الامثلة الحية على ذلك انه بفضله وبمساعدته المالية قد تم تأسيس مدرسة مجانية في البوشرية تضم مئات التلاميذ ، وقد تعهدها اعواماً بعونه ومدها بسخائه ، ولكن ابى ان يعلن ذلك لانه كان يعتقد ان الاحسان يفقد الكثير من روعته اذا تحول من غايته الاساسية وهي المعروف ، الى كونه وسيلة للدعاية

هكذا عاش ميشال شيحا كريماً في غير تبذل ، هادياً بدون تبجح ، متطوعاً دون دعوة ولا اعلان

*

فلسان الحال التي رافقت ميشال شيحا في مراحل سيرته كلها ، مواطناً كبيراً ، وصديقاً نبيلاً ، ولسان الحال التي ايدته في حملته الانتخابية الشهيرة ايام المندوبين الثانويين فانتخب نائباً وصام يومئذ في وضح الدستور

ولسان الحال التي كانت تنشر ، بين الحين والحين ، ترجمات لمقالات شيحا ، تنحني بسنبها الثماني والسبعين على ذكره ، فيشجيها فقده ، ويعظم عليها الخطب فيه ، وترى ان لا تحرم نفسها أثراً منه ، فتنشر في بعض ما يلي من اعدادها القادمة قبضة من مقالاته الصحفية

والحق ان غياب ميشال شيحا عنا ، وخصوصاً في هذه الايام ، لخسارة جسيمة لان الارض كانت احوج اليه من السماء !

مأتم الفقيد والتعازي على الصفحة ٤ ←

مآتم ميشال شيحا وقبول التعازي

شيخ لبنان ، قبل ظهر الخميس ، المرحوم ميشال شيحا ، بمأتم عز نظيره اشتركت فيه البلاد حكومة وهيئات وشعباً

وكان المعزون قبل ذلك قد اخذوا يتوافدون افراداً وجماعات على دار الفقيد في اليرزه حيث كان يتقبل التعازي كل من ارملة الفقيد وكريمتاه وشقيقاته ، والرئيس الشيخ بشاره الخوري وهنري بك فرعون ، والمركيز موسى دي فريج وسائر انسبائهم ، وكان الصمت يسود القاعات فلا يسمع الا التنهد والتأسي ، فالجميع متساوون في المصاب ، هذا يبكي نسيباً قريباً وذاك صديقاً حبيباً ، وذلك مواطناً كبيراً

وفي نحو الساعة العاشرة والنصف تحرك الموكب من اليرزه الى كنيسة الآباء الكبوشيين في بيروت وقد غصت بالجموع يتقدمهم رئيس الجمهورية الاستاذ كميل شمعون ورئيسا المجلس والحكومة والوزراء والسفراء والوزراء المفوضون وممثلو الهيئات الدينية والزمنية واعيان البلاد ومراتها

وقد اصطف الحرس الجمهوري امام الكنيسة فحيا الجثمان الكريم بالتحية العسكرية

وقد ترأس الصلاة نيافة القاصد الرسولي يعاونه عدد من اصحاب السيادة مطارنة الطوائف الكاثوليكية في لبنان

ثم سار الموكب المهيب ، من الكنيسة الى مدفن اللاتين على الزيتونه حيث اودع الجثمان العزيز في جدث الرحمة

فالى ارملة الفقيد السيدة مرغريت فرعون شيحا وكريمتيه وشقيقاته ، والى الرئيس الشيخ بشاره الخوري والى هنري بك فرعون وسائر ذوي الفقيد نعازينا الصادقة في مصاب ليس مصابهم وحدهم بل مصاب الوطن كافة

هذا وقد صدرت الرصيفة العزيزة « لوجور » غداة المأتم متشحة بالسواد حداداً على عميدها الراحل وفيها مقال من قلم الاستاذ شارل حلو وزير العدل والصحة قال فيه : « اني مدين لميشال شيحا بكل شيء ما عدا الحياة ، فكأنه تبناني فتى ، ثم جعل من هذا الفتى رجلاً في ما بعد »

ومقال من قلم الرئيس الاول الاستاذ شكري قرداحي قال فيه : « عاش بالقلب ومات بالقلب »

ومقال من قلم السيد جوزف اوغورليان جاء فيه : « نحن نبكي صديقاً لايعوض فالى اللقاء ! »

ومقال من قلم الاستاذ ايلي تيان جاء فيه : « لقد اودع الله فيه الالمعية والشهامة وشيئاً منه »

وقال السيد جاك باري مدير وكالة الصحف الفرنسية للانباء : « ان وفاة ميشال شيحا خسارة جسيمة للادب والفكر اللبنانيين ولدنيا اللغة الفرنسية »

وسوى ذلك من التآبين المؤثرة